مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 18 العدد02 2022/06/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

موقف الحركة الإصلاحية النسوية الميزابية من الممارسات والطقوس الاحتفالية في الوسط النسوي الميزابي (1900– 1931) .

The position of The Mozabite Feminist Reform Movement Towards Ceremonial Practices and Rituals in the Mozabite Feminist Milieu (1900-1931) .

فرحات عبد القادر [1] *

[1] جامعة غرداية –مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية–

Ferhat.abdelkader@univ-ghardaia.dz

حوتية محمد [2]

[2]جامعة أدرار

mohamedhoutia@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/02/28 تاريخ القبول: 2021/06/26

ملخص:

يُعرف المجتمع الجزائري بتنوع عاداته وتقاليده، التي تختلف من منطقة إلى أخرى مشكلة بذلك فسيفساء اجتماعية ثرية، ومن المناطق التي تنفرد بخصوصية عاداتها وتقاليدها، الضاربة في أعماق التاريخ منطقة "وادي ميزاب" المعروف عنها أن مجتمعها يمتاز عن باقي المجتمعات البربرية بصفة الديمقراطية والفديرالية الملازمة له، فكل قصر –مدينة– يشتغل بشؤونه الخاصة، حيث تديره جماعات من المنتخبين ضمن عشائرهم، فلا أسرة مالكة ولا أشراف، كما أن حياتهم الاجتماعية تختلف كليا عن غيرهم، حيث أنها مبنية على التنظيم الديني الذي وضعه علماءها، الذين اهتموا بالعادات والتقاليد والعوائد الخاصة بهم، والتي تعتبر امتداد لعوائد بربرية سابقة للإسلام.

لتشهد بداية القرن العشرين ظهور ما يسمى بالحركة الإصلاحية في الجزائر عامة، ومنطقة وادي ميزاب خاصة، التي اصطدمت أفكارها بالعديد من العادات السائدة في المجتمع الميزابي عامة والنسوي خاصة.

الكلمات الدالة: الاحتفالات، المرأة الميزابية، وادي ميزاب، الحركة الإصلاحية

* **المؤلف المرسل:** فرحات عبد القادر، **الايميل:** ferhat.abdelkader@univ-ghardaia.dz

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

Abstract:
Algerian society is known for the diversity of its customs and traditions, which differ from one region to another, forming a rich social mosaic, and from the regions that are unique in the privacy of their customs and traditions, striking in the depths of history, the "valley gutter" region, which is known to distinguish its society from the rest of the barbarian societies as democratic and federalism inherent to it Every palace - a city - operates with its own affairs, as it is run by groups of elected members within their clans, so there is no royal family or supervisors, and their social life is completely different from others, as it is based on the religious organization established by its scholars, who are interested in their customs, traditions and customs. , Which is an extension of barbaric returns prior to Islam.
The beginning of the twentieth century witnessed the emergence of the so-called reform movement in Algeria in general, and the Wadi M'zab region in particular, whose ideas clashed with many of the customs prevailing in the Mozabite community in general and the feminist in particular.
Keywords: Celebrations, Mozabite women, M'zab, the reform movement

مقدمة:

يُعرف المجتمع الجزائري بتنوع عاداته وتقاليده، التي تختلف من منطقة إلى أخرى مشكلة بذلك فسيفساء اجتماعية ثرية، ومن المناطق التي تنفرد بخصوصية عاداتها وتقاليدها، الضاربة في أعماق التاريخ منطقة "وادي ميزاب" المعروف عنها أن مجتمعها يمتاز عن باقي المجتمعات البربرية بصفة الديمقراطية والفديرالية الملازمة له، فكل قصر –مدينة– يشتغل بشؤونه الخاصة، حيث تديره جماعات من المنتخبين ضمن عشائرهم، فلا أسرة مالكة ولا أشراف، كما أن حياتهم الاجتماعية تختلف كليا عن غيرهم، حيث أنها مبنية على التنظيم الديني الذي وضعه علماءها، الذين اهتموا بالعادات والتقاليد والعوائد الخاصة بهم، والتي تعتبر امتداد لعوائد بربرية سابقة للإسلام.

لتشهد بداية القرن العشرين ظهور ما يسمى بالحركة الإصلاحية في الجزائر عامة، ومنطقة وادي ميزاب خاصة، التي اصطدمت أفكارها بالعديد من العادات السائدة في المجتمع الميزابي عامة والنسوي خاصة.

من هذا الطرح تتضح معالم الدراسة التي عنوناها بـ: "موقف الحركة الإصلاحية النسوية الميزابية من الممارسات والطقوس الاحتفالية في الوسط النسوي الميزابي (1900– 1931)"

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إن البحث في هذا الموضوع يجعلنا نطرح العديد من التساؤلات، ولعل أبرزها:

– ما هو موقف الحركة الإصلاحية النسوية من الممارسات والطقوس الاحتفالية في الوسط النسوي الميزابي ؟، لتتفرع عن هذه الإشكالية العديد من التساؤلات الفرعية منها:

ماهي أهم الممارسات الاحتفالية المنتشرة في الوسط النسوي الميزابي؟

ماهي أهم المبادئ التي قامت عليها الحركة الإصلاحية النسوية في وادي ميزاب؟ وكيف تعاملت الحركة الإصلاحية مع هذه الممارسات؟

أولا– بعض العادات والتقاليد المصاحبة لاحتفالات المرأة الميزابية:

من المعلوم أنه تصاحب الاحتفالات العديد من الممارسات والشعائر، لكل منها أهميتها الخاصة، وكما هو معروف فإن الشعائر هي نوع من التصرفات والممارسات التي تخضع لقواعد مقررة، القصد منها تتابع بعض الأفعال والحركات الموجهة لتحقيق غاية معينة، الواجب تكرارها كما هي بدون تغيير شكلها، كلما حلت مناسبة إجراءها، إذ تعتبر الممارسة سنوية أو دورية، تساهم في تجديد وشد أواصر العلاقات بين الأفراد بعضهم البعض بشعور الانتماء أو الترابط (فاطمة حاج عمر، صفحة 63) ومن الممارسات التي كانت سائدة في المجتمع النسوي الميزابي نذكر:

1 الاحتفال بسقوط المطر:

تعرف منطقة وادي ميزاب عموما كباقي المناطق الصحراوية الأخرى بالجنوب الجزائري بمناخها الجاف، لذا فإن الأمطار تكون شحيحة جدا وفي فترات غير منتظمة، حيث تصل كمية التساقط السنوي للأمطار إلى حوالي 130،7 مم، كما يمتاز مناخ المنطقة بتلاعد حدين حرارين في اليوم الواحد وبين الصيف والشتاء، إذ تبلغ درجة الحرارة صيفا 84 درجة، وتنزل إلى درجة الصفر شتاء، تهب على المنطقة رياح شمالية تكون باردة في فصل الشتاء، وتسمح بتساقط كمية من الأمطار وقد تكون غربية، وأما في فصل الصيف في غالب الأحيان رياح جنوبية، تكون جافة وحارة وهي المسؤولة عن الحرارة الشديدة التي تشتاح المنطقة في هذا الفصل (marciel mercier, 1932, p. 38)

هذه الظاهرة الطبيعية أدت بظهور العديد من الطقوس الاحتفالية العديدة والمتنوعة، من بينها احتفالية نزول المطر، التي كانت منتشرة في أغلب المجتمعات البربرية، ففي نهاية كل خريف في منطقة وادي ميزاب

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

يخرج أبرز الشيوخ من العلماء والحكماء إلى الواحة عند حافة الصحراء لتشخيص السحب، إذ كان هنالك احتمالية لنزول المطر، ففي حالة نزوله يتم إطلاق البارود، ويتضاعف البكاء في ميزاب، ثم ينطلق الخيالة للقاء الواد الذي يتدفق وصولا إلى السد، ليمر عبر قنوات المياه، ليغزوا الحدائق، يُسمح للنساء بالخروج والتمتع بالمطر (إيميلي ماري قواشون، 2019، صفحة 187)، حيث تذهبن إلى حافة الماء بالغناء وشكر الله، ومن العادات الشائعة في هذه الاحتفالية إطلاق الزغاريد عند كل عتبة منزل، كما يقمن بصنع دمية يُطلق عليها إسم "بوغنجة" بواسطة ملعقة كبيرة مخصصة لصلصة الكسكس، يتم تثبيتها بقصبة في الجزء العلوي، حيث يظهر الرأس بشكل ذراعين، يرتدي قطعة كبيرة من القطن الأبيض يسمى –تارباعيت– بشكل ثوب، مع محرمة في رأس الملعقة الكبيرة، ويتم تغطية الهيكل، بكمية من مجوهرات العروس، بعد ذلك يتم تحضير "المعروف" في البيت الذي صُنعت فيه دمية بوغنجة، بعد ذلك تُحمل هذه الدمية من قبل أحد الفتيات الصغار في نزهة عبر الوادي مع الميزابين الصغار الذين يغنون:

بوغنجة يطلب الرجة...ياربي بكبك راسو

وفي ذلك اليوم يوضع لجميع الفتيات الصغيرات نقطة من الجص الأبيض في كل عظمة من عظام الخد، مع خط يبدأ من جذر الشعر إلى قاعدة الأنف، مقطوع بكشل عرضي بخط أفقي صغير عند الأنف (إيميلي ماري قواشون، 2019، صفحة 261، 262)، بالإضافة إلى قرع أنغام المزامير والطبول (يوسف بن بكير الحاج سعيد، 2007، صفحة 75)، والهدف من ذلك استحضار الرموز التي تشكل جزاء مهما في الاحتفالات، سواء من خلال استحضاره في الذهن الشيء الشبيه له أو ما يرمز له، لجلب السعادة والمرح والبهجة في جو الاحتفالات، (فاطمة حاج عمر، 2011/2010، صفحة 64، 65)

2 الاحتفالات المصاحبة لاستقبال المسافرين:

بمجرد الإعلان عن عودة الشباب الميزابي من المدن الشمالية في الجزائر إلى وادي ميزاب، يتم لقاءهم من طرف رجال العائلة ورفقاءهم، حاملين قصبة يعلوها علم أبيض صغير، بالإضافة عمامة حريرية تُلف حول ساق المسافر، منزلقة داخل خلخال من الفضة رمزا للثروة المالية التي سيكتسبها، وفي اليوم الموالي من عودته يجتمعن نساء العائلة للإحتفال والاستماع للأغاني الخاصة بهذا الحدث، كما يتم وضع دمية "أجون" في يد المسافر والتي هي نموذج من دمية بوغنجة، تتكون من جسم من قصب، يشغل مكان التسريحة قطعة من

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

نسيج القطن الأبيض المشترك، أما شكل لباس الدمية، فتثبت في الوسط بحزام من القماش، يسمى بالميزابية "أمليباني".

تبدأ النسوة الميزابيات بإنشاد بعض الأغاني الخاصة بهذا الحدث، عبارة عن أبيات، منها (إيميلي ماري قواشون، 2019، صفحة 182):

البارود انفجر في أوزيل...قيل لي، لارباع هنا؟

سيدي لديه فرس السرج ...قلبي مضغوط مثل الرمان

قلبي يرتجف مثل القصب...قلبي خضر كي العشب الجديد...

3 احتفالات الزفاف:

كانت هذه الحفلات في وادي ميزاب صاخبة وطويلة، مليئة بالغناء والزغاريد، تُنقل العروس إلى عريسها على صوت الطبول والأغاني، أما العريس فيُصطحب على الأغاني وأنغام الغايطة، أما الحفلة الكبيرة فقد كانت تقام في خيمة العريس المسماة "تاخامت" بالوادي لمدة سبعة أيام من الأفراح والموسيقى، كما كان يُسمح للمرأة بالخروج حافية القدمين والبقاء دون كساء، اما الفتيات فكن محجبات بقطعة من قماش خفيف لا يغطي وجوههن (إيميلي ماري قواشون، 2019، صفحة 259، 263).

4 زيارة القبور والأضرحة:

من العوائد الشائعة في ميزاب تقديم معروف على شرف أضرحة شيوخهم وأولياءهم بدلا من أن يطلبوا منهم الحصول على خدمة أو التبرك بهم، حتى أضحت في نظر العامة كأنها من الواجبات التي لا ينبغي التنازل عنها (قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج، 2011، صفحة 85)، ويتم تقديم هذا المعروف في المنزل أو عند الضريح، وليس من الضروري أن تكون الوجبة ضخمة، حيث يتم توزيع التمور والبطيخ على الفقراء، وللإشارة أنه لا يوجد زوايا وأضرحة خاصة بالنساء، لكن كل قبر لشخصية تقية في ميزاب وجهة للتبرك والزيارة، وهناك عدد من القباب الصغيرة ذات الزخرفة، وهي عبارة عن شاهد تذكاري في المكان الذي كان الشيخ أو الولي يصلي ويذكر فيه، كما تأتي النسوة لحرق الشموع والطور فيه، لكن هذه الممارسة نادرة (إيميلي ماري قواشون، 2019، صفحة 285).

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

من الشخصيات المبجلة في الميزاب "أمي سعيد"، الذي ينحدر أصله من "جربة" التونسية، هاجر في نهاية القرن العاشر هجري إلى وادي ميزاب حينما حدثت تفرقات بين المجموعات، تحول ضريحه مرتع لممارسة العديد من الطقوس، حيث يأتون إليه للتبرك والصلاة ضد العدو، ويطلبون منه التوسط حتى يفقد العدو قوته، ومن جهة أخرى دعوة النساء الأرامل الميزابيات اللواتي يرغبن في الزواج، حيث يبادرن بإحضار الطعام وتوزيعه على الفقراء، أما فيما يخص الفتيات الصغيرات والشابات المطلقات، فيصعدن إلى الجبل ويتزحلقن إلى أسفله، حتى يتمكن الزوج من القدوم إليهن بالسرعة التي تزحلقن بها (إيميلي ماري قواشون، 2019، صفحة 249).

5 عادات وطقوس مسيحية في الوسط النسوي:

من المعلوم ان نشاط الآباء البيض لم يكن يخلوا من الخلفية والطابع التبشيري، مستغلين تدهور الأوضاع الاقتصادية في المنطقة، ولعل المجال الذي اعتمدت عليه الأخوات البيض هو التعليم، خاصة وأن رجال الدين المسيحين يتولون ذلك، ومن أجل ذلك كانوا يقدمون دروسا في التربية الروحية المسيحية، موجهة بشكل مباشر للأطفال.

وعليه لم يكن غرض الآباء المتحمسين لنشر التبشير تعليم الأطفال فحسب، بل التشكيك في المعتقد الديني للمتعلمين، والشروع في تمرير القيم الدينية المسيحية، ريثما يتمكنون من تحويلهم دينيا بترسيخ المعتقدات المسيحية في أذهانهم تدريجيا، وفي هذا الصدد يقول الأب نوبي Nouet: "أن المعامل والورشات هي المكان المناسب للتعليم، وتزويد التلاميذ بالأفكار المسيحية، وتشكيكهم في دينهم الإسلام، ثم تركهم بعد ذلك، ليبحثوا عن الحقيقة المسيحية" (عمر داود، 2016، الصفحات 141- 143).

ليتحول هذا النمط من التعليم إلى ممارسات وطقوس مستمدة من الديانة المسيحية، ومن صور هذه الأخيرة في الوسط النسوي، قيام فتيات مراكز التكوين المهني وورشات تعلم النسيج والخياطة والطرز...، فتُلزمن على الصلاة والدعاء على الطريقة المسيحية مرتين في اليوم، عند الوصول صباحا وعند المغادرة مساء. ومن الأمثلة أيضا استقطاب فتيات المنطقة ونساءها، وتكليفهن بترديد أغاني قداس يوم الأحد، وخُصصت لهن سيارة تحت تصرفهن لتسهيل تنقلهن كل يوم أحد. كما استغل الآباء البيض الوضعية الصعبة للأيتام ذكورا وإناث، فعملوا على احتواءهم، وتوفير الرعاية الكاملة لهم بمراكز خاصة، والعمل على تمسيحهن تحت

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ستار العمل الإنساني، ومن الممارسات المفروضة على تلميذات هذه المراكز، تلقينهن التعليم المسيحي الصريح بعد سنة السابع عشر، ويصلون مع الآباء البيض، ويتلقون السر المقدس في مصلى الكنيسة، ويُستبدل اسمهم بعد ذلك، ومن أجل هذا الغرض استقدمت الأخت مارغريت Marguerite بعض طالبات الداخلية الأكبر سنا إلى غرداية مطلع الثلاثنيات من القرن العشرين للقيام بمهتهن هناك (عمر داود، 2016، الصفحات 143- 147).

ثانيا: ظهور الحركة الإصلاحية في الوسط النسوي الميزابي:

مع مطلع القرن العشرين قامت في الجزائر ما يسمى بالحركة الإصلاحية التجديدية التي قادها ثلة من العلماء والمشاييخ، هدفها الأساسي إصلاح الأوضاع الدينية والتربوية للشعب الجزائري، والتي كللت بتأسيس "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، لتكون الحركة الإصلاحية إلى جنب جمعية العلماء، حاضرة في المجلس التأسيس للجمعية، ممثلة في الشيخ بيوض، والشيخ أبي اليقظان (قاسم الشيخ بلحاج، 2017، صفحة 60).

وهكذا لم تكن منطقة بني ميزاب بمنعزل عن رياح الإصلاح التي هبت في هذه الفترة، لتمس العديد من الجوانب الاجتماعية والثقافية والدينية، في مختلف أوساط وفئات المجتمع الميزابي، وبالأخص الوسط النسوي المرتبط بدراستنا. ومما لا شك فيه أن الحركة الإصلاحية النسوية قد تربت في أحضان كبار مصلحي وعلماء ميزاب، فقد كانت المصلحة "مامان سليمان" (1863- 1931) المتأثرة بالفكر الإصلاحي عند قطب الإصلاح "الشيخ طفيش" كما سنرى لاحقا، وفق هيئة تنظيمية صارمة، ومبادئ وقوانين تضبط الحركة الإصلاحية في الوسط النسوي، وتتمثل هذه الهيئة في:

1 هيئة التمرسدين:

هي هيئة دينية نسوية خاصة، ترعى شؤون المجتمع النسوي في ميزاب، كما تعمل على تنظيمه والمحافظة عليه (عائشة بنت احمد الطفيش، 2018، صفحة 31)، ففي كل بلدة (قصر) هناك هيئة يُطلق عليها إسم تمرسدين أو الغسالات، والذي يعتبر مجلسا تكميليا لمجلس العزابة، والذي هو مجلس يشرف على حياة المدن الميزابية، مؤسسها أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الفرسطائي النفوسي سنة 409 هـ (فرحات الجعبري، 1975، صفحة 60)، يعمل على معالجة القضايا الدينية، الاجتماعية والأخلاقية، المتعلقة بحياة العنصر

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

النسوي الميزابي، يضم في عضويته النساء المسلمات الوارعات والصالحات، والتي تتمتعن بالحنكة والدراية بشؤون الأسرة. يتم تعيينهم من طرف هيئة العزابة، كما تُختار واحدة منهن للرئاسة والقيادة، تُلقب "مامه شيخة"، والتي هي رئيسة المجلس الديني الأعلى في المنطقة (بلحاج معروف ، 2007، صفحة 81)، حيث تعمل على محاربة البدع والخرافات، والعادات السيئة المتفشية داخل المجتمع النسوي، بالإضافة إلى الإشراف على الحفلات والأعراس، وأهم عمل تقوم به تغسيل الأموات من النساء، ونشر الوعي والأخلاق من خلال حلقات الدرس والوعظ والتوجيه الإسلامي الخالص (بكير بن سعيد أوعشت، 1991، صفحة 110).

وللإشارة من أجل ترأس التمرسدين لابد من توفر مجموعة من الشروط، وأهمها: بلوغ سن محدد، وهو سن اليأس، وأن تستوفي فيها شروط القيادة التي تؤهلها للحل والعقد واتخاذ القرارات المناسبة في مختلف المواقف، بالإضافة إلى عدم ارتباطها بواجبات زوجية أو عائلية، فيجب أن تكون أرملة أو مطلقة (عبد الله نوح، 1994، صفحة 267)

ولعل أبرز الشخصيات النسوية الإصلاحية التي ترأست التمرسدين نذكر السيدة "مامان سليمان"، وهي من مواليد مدينة غرداية سنة 1863، نشأت في جو عائلي محافظ كغيره من العائلات الميزابية، أين تعلمت القراءة والكتابة، وحفظت نصف القرآن الكريم، وتأثرت بالمؤلفات الإباضية، ومن أبرز شيوخها: الحاج بابكر مسعود القاي، والشييخ باهون بن موسى، زالشيخ باحماني المليكي، والشيخ أحمد دادي واعمر، وعن زوجها الشيخ يعقوب غرناوت، كل هذا ساهم في صقل شخصيتها التي اهتمت بتوعية وإرشاد المجتمع النسوي، كما فتحت منزلها كمدرسة لتعليم القرآن والسيرة النبوية والعقيدة والفقه، وذلك ضمن حصص أسبوعية منتظمة باستمرار (اسماوي صالح، 1997، صفحة 96).

تولت رئاسة الهيئة في الفترة الممتدة مابين 1919- 1932، فقد عُرفت مامان سليمان بحنكتها ومواقفها الإصلاحية داخل المجتمع النسوي الميزابي ضد الممارسات التي لا تتوافق مع الشرع الإسلامي وتتماشى مع المشروع الإصلاحي الميزابي (يوسف بن بكير الحاج سعيد، 2007، صفحة 284).

يعقد التمرسدين العديد من الاجتماعات تسمى بـ"ملتقى لا إلاه إلا الله"، تلقى فيه دروس دينية متنوعة مثل الفقه والعقيدة والتفسير، بالإضافة إلى مناقشة ومعالجة المسائل الدينية والأخلاقية في المجتمع الإباضي، يعود تأسيسه إلى أوائل القرن السادس هجري خلال فترة حياة الشيخ "عبد الرحمان الكرثي" يضم كل هيئات

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

قصور وادي ميزاب (عائشة بنت امحمد الطفيش، 2018، صفحة 28)، وفق العديد من الضوابط والقوانين، التي سمكن أن نستخلص البعض منها في النقاط التالية (إيميلي ماري قواشون، 2019، صفحة 235، 236):

- عدم ارتداء الفساتين النسوية من الطراز الفرنسي، أو الأحذية العربية في الجزائر
- عدم الخروج بالمجوهرات أو وضع عدد مفرط منها.
- عدم الخروج إلى الشارع حافية القدمين أو بدون حجاب.
- عدم وضع الوشم، ويجب استبداله بالرسومات والحنة كعادة ميزابية.
- عدم قسم شعر المرأة بشكل صليب على الرأس، مع عدم ارتداء الضفائر الجانبية للشعر
- منع المرأة من الاستماع إلى الرجال وهم يعزفون الناي.

ثالثا: موقف الحركة الإصلاحية النسوية من الممارسات والطقوس:

عملت الحركة الإصلاحية النسوية بقيادة هيئة التمرسدين على التصدي للبدع والعادات الدخيلة على المجتمع النسوي الميزابي، فمن بين مواقفها من العادات والممارسات السابقة الذكر، قامت بمنع الاحتفالات المصاحبة لسقوط المطر، حيث أن رئيسة التمرسدين "مامان سليمان" قد وجدت في هذه العادة تلميحا معينا للوثنية، بسبب طريقة الاحتفال لطلب المطر، مما أدى بها إلى حظر ومنع كلا العادتين الاحتفاليتين، كما منعت الكثير من الممارسات من هذا النوع من أجل المطر (يوسف بن بكير الحاج سعيد، 2007، صفحة 284).

وبالنسبة للاحتفالات المصاحبة لاستقبال المسافرين بادرت المصلحة "مامن سليمان"، بإلغاء مراسيم الخروج للاحتفال بعودة المسافرين، كما بادرت بمحاربة ومنع اخذ دمية "أجون" لاستقبال المسافرين، أما فيما يخص أغنية العودة فقد مُنعت وأوزيلت تماما، بحيث أصبح يُنشد شيئا قليلا في المنازل (إيميلي ماري قواشون، 2019، صفحة 183).

وفيما يخص حفلات الزواج، قامت الهيئة النسوية بالعمل على إصلاح هذه العادات المنتشرة، من خلال فرض الحجاب والذي يُشترط على المرأة المسلمة عامة، وبشكل صارم على النساء في الأعراس (علي يحيي معمر، 2001، صفحة 444)، بالإضافة التستر بكساء سميك يسمى "أحولي- بمعنى الحايك، agnes)

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

(de feo, 2017, p. 52)وعدم التزين أمام الرجال، كما أضافت مزيدا من الصرامة، فقد تركت حفلات الزواج ومنعت الغناء والزغاريد، واستبدلتها بإنشاد الأبيات الدينية داخل البيوت، كما دعت إلى التقليل من وضع الحلي والمجوهرات، وحافظت على عدم تزوج المرأة الميزابية بالرجل العربي (إيميلي ماري قواشون، 2019، صفحة 259، 263).

أما فيما يخص زيارة القبور والأضرحة فقد لقيت هذه الممارسات معارضة من قبل المصلحة "مامان سليمان"، حيث تكبدت عناء وقف ومنع هذه العادة طيلة حياتها، في سبيل إصلاح دين وفكر النسوة اللواتي تمارسن هذه الطقوس والعادات المتوارثة (إيميلي ماري قواشون، 2019، صفحة 249). والتي عبر عنها الشيخ إبراهيم البيوض وفق توجهه الإصلاحي قائلا:" سرت إلى المجتمع الميزابي بعض الأمراض، كتقديس قبور بعض الأولياء، يعتقدون أن لهم تأثيرا في الكون، وأنه سبب النفه والضر للأحياء، هذه العقيدة الخرافية للدين، ووجدنا في الأعراس عادات لا تليق من الإصراف وغيره، تضر صاحب العرس والمجتمع (قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج، 2011، صفحة 86).

وأمام المد التبشري عملت الحركة الإصلاحية على التصدي له في المنطقة ، وخاصة وما انجّر عنه من طقوس دخيلة على المجتمع الميزابي المسلم، ولهذا بقين الميزابيات متحفظات في تعاملهن مع الأخوات، بفضل جهود داعيات ومرشدات هيئة تمرسدين، اللائي كن يطلبن تجنب الانسياق في التعامل مع الأخوات، والحذر من إغراءتهن المختلفة، ومن الداعيات من حرّمن ذلك، لأنهن مهما فعلن من "خير" يظلن مسلمات، ما جعل المرأة الميزابية محافظة على خصوصياتها الذاتية وصامدة أمام هذا النموذج الثقافي الذي كان يحاول جاهدا اكتساح مجالاتها الاجتماعية (عمر داود، 2016، صفحة 155).

خاتمة:

من خلال ما سبق ذكره يتضح أن الممارسات والاحتفالات المصاحبة للعديد من المناسبات، التي كانت متجذرة في المجتمع النسوي الميزابي، الضاربة في أعماق التاريخ، متميزة بتنوعها وخصوصياتها، قد عرفت في مطلع القرن العشرين، خاصة بعد ظهور الحركة الإصلاحية الميزابية التي متدت إلى الوسط النسوي الميزابي، أين عملت على إصلاح العديد من المظاهر في مختلف المجالات الاجتماعية والثقافية والدينية، بهدف التصدي للعادات البالية من جهة، وإيقاف المد التبشيري المسيحي في المنطقة.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

كانت هذه الحركة متشبعة بالفكر الإصلاحي الذي شهدته الجزائر في تلك الفترة، الأمر الذي جعل هذه الحركة تتربى في أحضان مشايخ وعلماء الجزائر عامة ووادي ميزاب خاصة، حاملة نفس القيم والأهداف.

قامت الحركة الإصلاحية النسوية على تنظيم محكم، وهو ما تجلى في هيئة التمرسدين، القائمة على ضوابط، ومبادئ وشروط مقننة، وفق ما يقره الشرع والتوجه المذهبي.

وقفت الحركة الإصلاحية موقفا معارضا من هذه الممارسات، حيث عملت على محاربة بعضها، رؤية منها أنها لا تمت بصلة إلى تعاليم الدين الإسلامي والمنهج الإصلاحي، ومن جهة أخرى قد أبقت على البعض منها التي تتماشى مع الخصوصية الإسلامية والمذهبية للمجتمع الميزابي المحافظ.

– قائمة البيلوغرافيا:

1. اسماوي صالح، نظام العزابة ودوره في الحياة الاجتماعية والثقافية بوادي ميزاب، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 1997.
2. إيميلي قواشون، الحياة النسوية في ميزاب، تر: سامية نور الدين شّلاط، دار نزهة الألباب، غرداية، 2019
3. بكير بن سعيد أوعشت، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية، دينيا، تاريخيا، اجتماعيا، المطبعة العربية، غرداية، 1991.
4. بلحاج معروف، العمارة الإسلامية مساجد ميزاب ومصلياته الجنائزية، منشورات قرطبة، الجزائر، 2007.
5. عائشة بنت محمد الطفيش خرازي، إسهامات المراة الميزابية أغرم نات مليشت علميا اقتصاديا سياسيا، المطبعة العربية.
6. عبد الله نوح، النظم التقليدية العرفية بوادي ميزاب، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1994.
7. علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، الضامرية للنشر والتوزيع، عمان، ط3: 2001.
8. فرحات الجعبري، نظام العزابة عند الإباضية الوهابية في جربة، المعهد القومي للأثار والفنون، المطبعة العصرية، تونس، 1875.
9. فطيمة حاج عمر، التماسك الاجتماعي والاحتفالية الدينية في الوسط النسوي دراسة ميدانية للتجمعات الاحتفالية للأسر في الموبد النبوي بمنطقة غرداية، شهادة ماجستير في تخصص علم الاجتماع التربوي والديني، جامعة غرداية 2010- 2011.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

10. قاسم الشيخ بلحاج، موجز تاريخ وادي ميزاب أثناء الحكم العثماني والاستعمار الفرنسي، العالمية للطباعة والخدمات، البليدة، 2017.

11. قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج، معالم النهضة الإصلاحية عن إباضية الجزائر 1744- 1962، جمعية التراث، غرداية.

12. يوسف بن بكير، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية، ط4: 2017.

13. Agnes de feo, le haik (ahouli) des femmes mozabites marqueur de l'exception en algerie ibadite en algerie, horizons maghrébins le droit le droit à la mémoire, N: 76, 2017.

14. Mercier marciel, la civilization urbaine au M’zab, P.A.D, alger, 1932.